

حدود «أرض إسرائيل» في الـ «مِكرَا» (التوراة) (دراسة توثيقية)

توطئة

يختلف تعريف "أرض إسرائيل" كمصطلح جغرافي من عهد إلى عهد، والحدود "الموعودة" تختلف أيضاً ما بين تدوين وتدوين، كما أن الحدود التي سكن بنو إسرائيل ومن بعدهم اليهود في إطارها تختلف من مملكة إلى مملكة.

لم تكن الحدود "الموعودة" من نهر مصر حتى نهر الفرات هي ذات الحدود التي وعد بها النبي موسى كحدود توطين لليهود عندما كان في شرق الأردن (في أعالي جبل نبو، حسب الرواية التوراتية) قبيل عبور بني إسرائيل نهر الأردن نحو "أرض الميعاد". وكان التحديد الدقيق لأرض إسرائيل في زمن القضاة، وعلى وجه التحديد

فترة يشوع والأسباط، هو "من نهر دان جنوبي جبل الشيخ وحتى بئر السبع". وفي عهد "شلمو" (الملك سليمان) عندما توسعت المملكة بالاحتلال العسكري، لم تسم بـ "أرض إسرائيل"، ما عدا منطقة استيطان أبناء إسرائيل الفعلية، من دان وحتى بئر السبع. ويمكن القول بوضوح إن الحدود التاريخية الفعلية لأرض إسرائيل في الـ «مِكرَا» (التوراة) كانت حدوداً غير ثابتة، متنقلة، وإنها تغيرت، تنقلت، توسعت، وتقلصت في فترات مختلفة. وتفتقر التوراة إلى التحديد الدقيق، ولو في وصية واحدة تتصل بحدود أرض إسرائيل، وليس فيها حكم واحد يفرض حدوداً محددة خاصة وحدوداً معينة أخرى.

ويمكن أن نخلص، من خلال عدم تطرق الأنبياء لمناطق أرض إسرائيل وحدودها - ما عدا رؤى يحزقئيل - إلى أن مسألة الحدود لم

(*) طالب دكتوراة - قسم العلوم السياسية، جامعة بار إيلان.

ويمكن التطرق إلى حدود "أرض إسرائيل" في التوراة من خلال اتجاهين: الواقع والرؤيا. فمن جهة أحاول تشخيص حقيقة حدود البلاد في العصور المختلفة، منذ بداية فترة بيت المقدس الأول، ومن الجهة الثانية فحص المفاهيم المتعلقة بمفهوم أرض إسرائيل وحدودها.

تشغل بالهم قطعياً ولم تقلقهم. ومع أنهم يحملون كلام الله، وأنهم رسله الذين مثلوا الروح الطاهرة الحقيقية للإيمان، لم يحمل أي منهم كلاماً بحق هذه الحدود أو تلك، ولم ينطق أي منهم بملك أو أرض موعودة، بل اكتفت غالبيتهم بمناطق صغيرة أو متوسطة. سأحاول في هذه المقالة التطرق لموضوع أرض إسرائيل كما ورد في التوراة حرفياً.

ويمكن التطرق إلى حدود "أرض إسرائيل" في التوراة من خلال اتجاهين: الواقع والرؤيا. فمن جهة أحاول تشخيص حقيقة حدود البلاد في العصور المختلفة، منذ بداية فترة بيت المقدس الأول، ومن الجهة الثانية فحص المفاهيم المتعلقة بمفهوم أرض إسرائيل وحدودها. وعليه، سأحاول فحص:

أ. الجانب التاريخي: هل كانت هناك حدود موحدة وواضحة لأرض إسرائيل على مدار مراحلها المختلفة، هل توجد هناك حقاً خريطة معينة، جغرافية مضبوطة، تعتمد توك "الحالمين" المعاصرين لحدود الآباء، أم أن هؤلاء متعلقون بأحلام ضبابية، ليس لها مرتكز في الواقع التوراتي؟

ب. النظرة الفلسفية: هل هناك مفهوم في التوراة يخص مساحة وحدود أرض إسرائيل؟ وهل كانت في السابق، كما هي اليوم، حدود قائمة لضرورة الواقع؟ هذا من جهة - ومن الجهة الثانية، هل تطلعوا آنذاك إلى حدود أخرى وإلى بلاد أوسع، إلى بلاد ذات حدود معينة كما ذكر: وقال الرب لأبرام: "١. إرحل من أرضك وعشيرتك وبيت أبوك إلى الأرض التي أريك، ٢. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة، ٣. وأباركك مباركك وألعن لاعنيك، ويتبارك بك جميع عشائر الأرض." ("بريشيت" - التكوين: الإصحاح الثاني عشر، آية ١-٣). ثم ذكر: "فلما وصلوا إلى أرض كنعان ٦. اجتاز أبرام في الأرض إلى بلوطة مؤودة في شكيم، عندما كان الكنعانيون في الأرض. ٧. وتراءى الرب لأبرام وقال: "لنسلك أهب هذه الأرض". فبنى

أبرام هناك مذبحاً للرب الذي تراءى له. ٨. ثم انتقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته، فكانت بيت إيل غربيه وعاي شرقيه. وبنى أبرام هناك مذبحاً للرب، ودعا باسم الرب. ٩. ثم أخذ يرحل جنوباً نحو صحراء النقب" (التكوين: الإصحاح الثاني عشر، آية ٦-٩).

الحدود التاريخية في عهد الآباء

لم تكن لدى الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب حدود سياسية. فقد تنقلوا من إقليم لآخر بحثاً عن مناطق العيش، ويمكن القول، وفقاً لذكر الأماكن التي عاش فيها الآباء، إن منطقة تنقلهم كانت من جنوب جبال يهودا وحتى شمال النقب، ومن الخليل كنقطة شمالية، فذكر: «فصعد أبرام من مصر إلى صحراء النقب، هو وأمرأته ولوط وكل ما يملك. ٢. وكان أبرام غنياً جداً بالماشية والفضة والذهب، ٣. وأخذ يرحل من النقب إلى بيت إيل، حيث نصب خيمته له من قبل، بين بيت إيل وعاي. ٤. وحيث بنى مذبحاً. وهناك دعا أبرام باسم الرب» (التكوين: الإصحاح الثالث عشر، آية ١-٤).

وبعد انفصال سيدنا إبراهيم عن سيدنا لوط، سكن سيدنا إبراهيم في منطقة الخليل «حبرون»: «١٤. وقال الرب لأبرام بعدما فارقته لوط: «أرفع عينك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، ١٥. فهذه الأرض كلها أهبتها لك ولنسلك إلى الأبد، ١٦. وأجعل نسلك كثراب الأرض، فإن أمكن لأحد أن يحصيه، فنسلك أيضاً يحصي. ١٧. قم امش في الأرض طويلاً وعرضاً، لأنني لك أهبتها. ١٨. فانتقل أبرام بخيامه حتى إلى بلوط تمرافي حبرون، فأقام هناك وبنى مذبحاً للرب» (التكوين: الإصحاح الثالث عشر، آية ١٤-١٨)

١١. فأخذ الغزاة جميع ثروة أهل سدوم وعمورة ومؤوتهم

وَمَضَوْا. ١٢. وَأَخَذُوا أَيْضًا لُوطًا، ابْنَ أَخِي إِبْرَاهِيمَ، وَثَرَوَتَهُ وَمَضَوْا، وَكَانَ لُوطٌ مُقِيمًا بِمَدِينَةِ سَدُومَ. ١٣. فَجَاءَ أَحَدُ النَّاجِينَ وَأَخْبَرَ أَبْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ وَهُوَ مُقِيمٌ عِنْدَ بَلُوطِ عَمْرٍاءِ الْأُمُورِيِّ، أَخِي أَشْكُولَ وَعَانِرَ، وَهُمْ خُلَفَاءُ أَبْرَامَ» (التكوين: الإصحاح الرابع عشر، آية ١١-١٣). وَذَكَرَ أَيْضًا: «وَتَرَأَى الرَّبُّ لِإِبْرَاهِيمَ عِنْدَ بَلُوطِ عَمْرٍاءِ وَهُوَ جَالِسٌ بِيَابِ الْخِيَمَةِ فِي حَرِّ النَّهَارِ. ٢. فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ فَرَأَى ثَلَاثَةَ رِجَالٍ وَاقِفِينَ أَمَامَهُ، فَاسْرَعَ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْ بَابِ الْخِيَمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الْأَرْضِ ٣. وَقَالَ: «إِنْ كُنْتُ رَاضِيًا عَلَيَّ يَا سَيِّدِي، فَلَا تَمُرْ مُرُورًا بِعَبْدِكَ. ٤. دَعْنِي أَقْدِمُ لَكُمْ قَلِيلًا مِنَ الْمَاءِ، فَتَغْسِلُونَ أَرْجُلَكُمْ وَتَسْتَرِيحُونَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ. ٥. وَأَقْدِمُ لَكُمْ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتَسْنَدُونَ بِهَا قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَسْتَأْنِفُونَ سَفَرَكُمْ. وَإِلَّا لِمَاذَا مَرَرْتُمْ بِعَبْدِكُمْ؟» فَقَالُوا لَهُ: «إِفْعَلْ كَمَا قُلْتَ» (التكوين: الإصحاح الثامن عشر، آية ١-٥)، وَجَاءَ فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ الْإِصْحَاحِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ «وَعَاشَتْ سَارَةُ مِئَةً وَسَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. ٢. وَمَاتَتْ فِي قَرْيَةِ أَرْبَعٍ، وَهِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَدَخَلَ إِبْرَاهِيمُ يَنْدُبُ سَارَةَ وَيَبْكِي عَلَيْهَا. ٣. فَلَمَّا قَامَ مِنْ أَمَامِ جَثْمَانِهَا قَالَ لِبَنِي حَتِّ: ٤. «أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ بَيْنَكُمْ. دَعُونِي أَمْلِكُ قَبْرًا عِنْدَكُمْ لِأَدْفِنَ فِيهِ مَيِّتِي مِنْ أَمَامِي». ٥. فَأَجَابَهُ بَنُو حَتِّ: ٦. «اسْمَعْ لَنَا يَا سَيِّدِي. اللَّهُ جَعَلَكَ رَفِيعَ الْمَقَامِ فِيمَا بَيْنَنَا، فَادْفِنْ مَيِّتَكَ فِي أَفْضَلِ قُبُورِنَا، لَا أَحَدٌ مِّنَّا يَمْنَعُ قَبْرَهُ عَنْكَ لِتَدْفِنَ فِيهِ مَيِّتَكَ». وَحَتَّى بَثَرَ السَّبْعَ جَنُوبًا: ٨. ثُمَّ أُنْقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيْلَ وَنَصَبَ خِيْمَتَهُ، فَكَانَتْ بَيْتُ إِيْلَ غَرْبِيَّةً وَعَايُ شَرْقِيَّةً. وَبَنَى أَبْرَامُ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ، وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. ٩. ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَحِلُ جَنُوبًا نَحْوَ صَحْرَاءِ النَّقَبِ» (التكوين: الإصحاح الثاني عشر، آية ٨-٩). «وَأَنْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ النَّقَبِ، فَأَقَامَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ وَنَزَلَ بِمَدِينَةِ جَرَارَ» (التكوين: الإصحاح العشرون، آية ١).

«٣٣. وَغَرَسَ إِبْرَاهِيمُ شَجَرًا فِي بَثْرِ سَبْعَ وَدَعَا هُنَاكَ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِ السَّرْمَدِيِّ. ٣٤. وَتَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِ أَيَّامًا كَثِيرَةً» (التكوين: الإصحاح الواحد والعشرون، آية ٣٣-٣٤). «١٩. ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى خَادِمِيهِ، فَقَامُوا وَذَهَبُوا مَعًا إِلَى بَثْرِ سَبْعَ، وَأَقَامَ إِبْرَاهِيمُ هُنَاكَ» (التكوين: الإصحاح الثاني والعشرون، آية ١٩).

جَرَارَ. ٢. فَتَرَأَى لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: «لَا تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ، بَلِ اسْكُنْ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَذْلُكَ عَلَيْهَا. ٣. تَغَرَّبْ بِهَذِهِ الْأَرْضِ وَأَنَا أَكُونُ مَعَكَ وَأُبَارِكُكَ، فَأَعْطِيْكَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَفِي بِالْيَمِينِ الَّتِي حَلَفْتُهَا لِإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ، ٤. وَأَكْثُرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأَعْطِيَهُمْ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَيَتَبَارَكُ فِيهِمْ جَمِيعُ أُمَمِ الْأَرْضِ، ٥. لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ كَلَامِي، وَحَفِظَ أَوْامِرِي وَوَصَايَايَ وَفَرَاضِييَ وَشَرَائِعِي». ٦. فَأَقَامَ إِسْحَقُ فِي جَرَارَ» (التكوين: الإصحاح السادس والعشرون، آية ١-٦).

«٢٣. وَصَعِدَ إِسْحَقُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى بَثْرِ سَبْعَ، ٢٤. فَتَرَأَى لَهُ الرَّبُّ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. لَا تَخَفْ، فَأَنَا مَعَكَ وَأُبَارِكُكَ وَأَكْثُرُ نَسْلَكَ مِنْ أَجْلِ عَبْدِي إِبْرَاهِيمَ». ٢٥. فَبَنَى إِسْحَقُ هُنَاكَ مَذْبَحًا وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. وَنَصَبَ هُنَاكَ خِيْمَةً وَحَفَرَ رِجَالَهُ بَثْرًا» (التكوين: الإصحاح السادس والعشرون، آية ٢٣-٢٥). «٣٢. وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَاءَ عِبِيدُ إِسْحَقَ فَأَخْبَرُوهُ عَنِ الْبَثْرِ الَّتِي حَفَرُوهَا، قَالُوا: «وَجَدْنَا مَاءً». ٣٣. فَسَمَّاهَا إِسْحَقُ شِبْعَةَ فَصَارَ اسْمُ الْمَدِينَةِ بَثْرَ سَبْعَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ» (التكوين: الإصحاح السادس والعشرون، آية ٣٢-٣٣).

«١٠. وَخَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ بَثْرِ سَبْعَ وَذَهَبَ إِلَى حَارَانَ، ١١. فَوَصَلَ عِنْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ إِلَى مَوْضِعٍ رَأَى أَنْ يَبْنِي فِيهِ، فَأَخَذَ حَجَرًا مِنْ حِجَارَةِ الْمَوْضِعِ وَوَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ وَنَامَ هُنَاكَ. ١٢. فَحَلُمَ أَنَّهُ رَأَى سُلَّمًا مَنْصُوبَةً عَلَى الْأَرْضِ، رَأْسُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَمَلَائِكَةُ اللَّهِ تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ عَلَيْهَا. ١٣. وَكَانَ اللَّهُ وَاقِفًا عَلَى السُّلَّمِ يَقُولُ: «أَنَا الرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلَهُ إِسْحَقَ! الْأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ نَائِمٌ عَلَيْهَا أَهْبُهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. ١٤. وَيَكْثُرُ نَسْلُكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ، وَيَتَشَبَّهُ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ بِكَ وَبِنَسْلِكَ جَمِيعُ قِبَائِلِ الْأَرْضِ، ١٥. وَهَا أَنَا مَعَكَ، أَحْفَظُكَ أَيْنَمَا أَتَجهتَ. وَسَارُودُكَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، فَلَا تُخَلِّي عَنْكَ حَتَّى أَفِي لَكَ بِكُلِّ مَا وَعَدْتُكَ». ١٦. فَأَفَاقَ يَعْقُوبُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ: "الرَّبُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَا عِلْمَ لِي". ١٧. فَخَافَ وَقَالَ: "مَا أَرْهَبَ هَذَا الْمَوْضِعَ. مَا هَذَا إِلَّا بَيْتُ اللَّهِ. وَبَابُ السَّمَاءِ" (التكوين: الإصحاح الثامن والعشرون، آية ١٠-١٧).

ذكر في التوراة عن تواجد معين، واندفاعات حتى بيت إيل: "فلما وصلوا إلى أرض كنعان ٦. اجتاز أبرام في الأرض إلى بلوطه

١. وكان في الأرض جوعٌ غيرُ الجوعِ الأوَّلِ الذي كان في أيامِ إبراهيم، فذهب إسحاقُ إلى أبيمالك، ملكِ الفِلِسْطِينِ في

هناك مناطق معينة كانت مأهولة بشعوب كنعانية، وتطُرقت إليهم هذه الفقرة: «٥. وكان أيضًا لوط الذي رافق أبرام غنمًا وبقَرًا وخيَّامًا، فضاحت الأرض بسكناهما معًا لأنَّ أملاكهما كانت كثيرة». ٧. ووقعت خصومة بين رعاة ماشية أبرام ورعاة ماشية لوط، فيما الكنعانيون والفرزيون مقيمون في الأرض، ٨. فقال أبرام لوط: «لا تكن خصومة بيني وبينك، ولا بين رعاتي ورعاتك، فنحن رجالان أخوان».

مُورَة في شكيم، عندما كان الكنعانيون في الأرض. ٧. وتراعى الرب لأبرام وقال: "لنسلك أهب هذه الأرض". فبنى أبرام هناك مذبحًا للرب الذي تراءى له. ٨. ثم انتقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته، فكانت بيت إيل غربيته وعائ شرقيته. وبنى أبرام هناك مذبحًا للرب، ودعا باسم الرب. ٩. ثم أخذ يرتحل جنوبًا نحو صحراء النقب (التكوين: الإصحاح الثاني عشر، آية ٦-٩).

"فصعد أبرام من مضر إلى صحراء النقب، هو وامراته ولوط وكل ما يملك. ٢. وكان أبرام غنيًا جدًا بالماشية والفضة والذهب، وأخذ يرتحل من النقب إلى بيت إيل، حيث نصب خيمته له من قبل، بين بيت إيل وعائ. ٤. وحيث بنى مذبحًا. وهناك دعا أبرام باسم الرب" (التكوين: الإصحاح الثالث عشر، آية ١-٤).

حتى أن إخوة يوسف وصلوا إلى منطقة دوثان: "١٢. وذهب إخوة يوسف ليرعوا غنم أبيهم عند شكيم، ١٣. فقال يعقوب ليوسف: "إخوتك يرعون الغنم عند شكيم، فتعال أرسلك إليهم". قال: "نعم، ها أنا". ١٤. فقال له: "أذهب وانظر كيف حال إخوتك وحال الغنم وجثني بالخبر!" وأرسله من وادي حبرون، فجاء إلى شكيم. ١٥. وصادفه رجل وهو تائه في البرية، فسأله: "ماذا تطلب؟" ١٦. فأجاب: "أطلب إخوتي. أخبرني أين يرعون". ١٧. فقال الرجل: "رحلوا من هنا، وسعيتهم يقولون: نذهب إلى دوثان". فسعى يوسف وراء إخوته، فوجدتهم في دوثان" (التكوين: الإصحاح السابع والثلاثون، آية ١٢-١٧). لكن هذا كله جرى في أثناء البحث عن المراعي.

ولقد سكن يعقوب في نابلس لفترة معينة: "١٨. ثم جاء يعقوب سالمًا إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان، بعد عودته من

سهل أرام، فنزل قبالة المدينة. ١٩. ومئة من الفضة اشترى من بني حموَر أبي شكيم قطعة الأرض التي نصب فيها خيمته. ٢٠. وأقام هناك مذبحًا ودعا باسم إيل، إله إسرائيل" (التكوين: الإصحاح الثالث والثلاثون، آية ١٨-٢٠). وبعدها انتقل إلى بيت-إيل: "٦. وجاء يعقوب وجميع القوم الذين معه إلى لوز التي في أرض كنعان وهي بيت إيل. ٧. وبنى هناك مذبحًا وسمى الموضع إله بيت إيل، لأنَّ الله تجلَّى له هناك حين هرب من وجه أخيه. ٨. وماتت دُبُورَة مَرُصَعَة رَفَقَة فُدِفَت تحت البلوطة في أسفل بيت إيل، وسمي الموضع بلوطة البكاء" (التكوين: الإصحاح الخامس والثلاثون، آية ٦-٨). ومن ثم سار في اتجاه الخليل: "٢٧. وجاء يعقوب إلى إسحق أبيه عند ممرا بالقرب من قرية أربع، وهي حبرون، حيث تغرب إبراهيم وإسحق. ٢٨. وكان عمر إسحق مئة وثمانين سنة. ٢٩. وفاضت روح إسحق ومات وانضم إلى آبائه شيخا شيع من الحياة. ودفنه عيسو ويعقوب أبناه" (التكوين: الإصحاح الخامس والثلاثون، آية ٢٧-٢٩).

وسكن سيدنا يعقوب هناك حتى نزوحه إلى مصر. ولا يوجد أي ذكر في قصص الآباء لمنطقة السهل الساحلي من بلاد الفلسطينيين شمالًا، أو في عيمق يزرعيل (مرج ابن عامر) أو في عيمق بيت شان (سهل بيسان) والجليل. ولم يسكن الآباء هناك لسببين:

أ. هناك مناطق معينة كانت مأهولة بشعوب كنعانية، وتطُرقت إليهم هذه الفقرة: «٥. وكان أيضًا لوط الذي رافق أبرام غنمًا وبقَرًا وخيَّامًا، فضاحت الأرض بسكناهما معًا لأنَّ أملاكهما كانت كثيرة». ٧. ووقعت خصومة بين رعاة ماشية أبرام ورعاة ماشية لوط، فيما الكنعانيون والفرزيون مقيمون في الأرض، ٨. فقال أبرام لوط: «لا تكن خصومة بيني وبينك، ولا بين رعاتي ورعاتك، فنحن رجالان أخوان». ٩. الأرض كلها بين يديك، فانفصل عني.

تذهبُ إلى الشمالِ فأذهبُ إلى اليمينِ، أو إلى اليمينِ فأذهبُ إلى الشمالِ» (التكوين: الإصحاح الثالث عشر، آية ٥-٩).

ب. كانت هناك مناطق معينة، مثل منطقة السهل الساحلي والأغوار الشمالية، مليئة بالمستنقعات وغير صالحة للسكن، وبالتأكيد غير صالحة للرعاة للرحل.

هناك قضيتان شاذتان في قصص الآباء والتي تخص «أرض الميعاد»: أولها شراء الحرم الإبراهيمي الذي اشتراه سيدنا إبراهيم من عفرون الحثي: «١. وعاشت سارة مئة وسبعًا وعشرين سنة. ٢. وماتت في قرية أربع، وهي حبرون، في أرض كنعان. ودخل إبراهيم يندب سارة ويكي عليها. ٣. فلمّا قام من أمام جثمانها قال لبني حث: ٤. «أنا غريب ونزير بينكم. دعوني أملك قبرًا عندكم لأدفن فيه ميتي من أمامي». ٥. فأجابهُ بنو حث: ٦. «اسمع لنا يا سيدي. الله جعلك رفيع المقام فيما بيننا، فادفن ميتك في أفضل قبورنا، لا أحد منا يمنع قبره عنك لتدفن فيه ميتك». ٧. فقام إبراهيم وأنحنى لأهل تلك الأرض، لبني حث ٨. وقال لهم: «إن كنتم تقبلون أن أدفن ميتي من أمامي فأسمعوا لي وأطلبوا من عفرون بن صوحر ٩. أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له في طرف حقله بئيم كامل، لتكون قبرًا أملكه فيما بينكم. ١٠. وكان عفرون الحثي جالسًا مع بني حث، فأجاب إبراهيم على مسمع كل بني حث الذين جاؤوا إلى مجلس باب المدينة: ١١. لا يا سيدي، اسمع لي. الحقل وهبته لك، والمغارة التي فيه أيضًا. هذه هبة لك مني بمشهد من بني قومي. فادفن ميتك». ١٢. فأنحنى إبراهيم أمام أهل تلك الأرض، ١٣. وقال لعفرون على مسمعهم: «ليتك تسمع لي، فأعطيك ثمن الحقل. خذ مني فادفن ميتي هناك». ١٤. فأجاب عفرون إبراهيم: ١٥. «اسمع لي يا سيدي. أرض تساوي أربع مئة مثقال فضة، فأية قيمة لها بيني وبينك؟ ادفن ميتك فيها». ١٦. فسمع إبراهيم لعفرون ووزن له الفضة التي ذكرها على مسمع بني حث، أي أربع مئة مثقال فضة مما هو رائج بين التجار. ١٧. فأصبح حقل عفرون الذي في المكفيلة نجاة ممرًا: الحقل والمغارة وكل ما فيه من شجر بجميع حدوده المحيطة به ١٨. ملكًا لإبراهيم بمشهد من كل بني حث الذين جاؤوا إلى باب المدينة. ١٩. وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة نجاة ممرًا، وهي حبرون، في أرض كنعان. ٢٠. وهكذا انتقل الحقل والمغارة التي فيه من بني حث إلى إبراهيم ملكًا

لقبر» (التكوين: الإصحاح الثالث والعشرون، آية ١-٢٠). وذكر بعد وفاة سيدنا إبراهيم «٧. وكان عدد السنين التي عاشها إبراهيم مئة وخمسة وسبعين سنة. ٨. وفاضت روح إبراهيم ومات بشية صالحة، شيخا شبع من الحياة، وأنضم إلى آباءه. ٩. فدفنه إسحق وإسماعيل أبناؤه في مغارة المكفيلة نجاة ممرًا، في حقل عفرون بن صوحر الحثي، ١٠. وهو الحقل الذي اشتراه إبراهيم من بني حث. هناك دفن إبراهيم وامرأته سارة. ١١. وبعد موت إبراهيم بارك الله إسحق ابنه. وأقام إسحق عند بئر الحثي الرائي» (التكوين: الإصحاح الخامس والعشرون، آية ٧-١١).

ثانيًا: شراء قطعة أرض قرب مدينة نابلس: «١٨. ثم جاء يعقوب سالمًا إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان، بعد عودته من سهل أرام، فنزل قبالة المدينة. ١٩. وبمئة من الفضة اشترى من بني حموّر أبي شكيم قطعة الأرض التي نصب فيها خيمته. ٢٠. وأقام هناك مذبحًا ودعاه باسم إيل، إله إسرائيل» (التكوين: الإصحاح الثالث والثلاثون، آية ١٨-٢٠). وفي هذه القطعة من الأرض دفن سيدنا يوسف " ٣٢. ودفن بنو إسرائيل عظام يوسف التي أصعدوها من مصر في شكيم، في الحقل الذي اشتراه يعقوب من بني حموّر، أبي شكيم، بمئة نعجة، وصار لبني يوسف ملكًا" (يشوع، الإصحاح الرابع والعشرون، آية ٣٢).

لماذا أحس الآباء أن هناك ضرورة لشراء أراض بالنقد الكامل، مع أن هذه الأرض كانت موعودة من الله؟ فقد ذكر: " ٧. وترأى الرب لأبرام وقال: «لنسلك أهب هذه الأرض». فبنى أبرام هناك مذبحًا للرب الذي ترأى له" (التكوين: الإصحاح الثاني عشر، آية ٧).

ولماذا أراد سيدنا إبراهيم عدم تلقي قطعة أرض كهدية، وإنما أصر على أن يجري تسجيل الأمر في وثيقة: " ١٦. فسمع إبراهيم لعفرون ووزن له الفضة التي ذكرها على مسمع بني حث، أي أربع مئة مثقال فضة مما هو رائج بين التجار. ١٧. فأصبح حقل عفرون الذي في المكفيلة نجاة ممرًا: الحقل والمغارة وكل ما فيه من شجر بجميع حدوده المحيطة به ١٨. ملكًا لإبراهيم بمشهد من كل بني حث الذين جاؤوا إلى باب المدينة" (التكوين: الإصحاح الثالث والعشرون، آية ١٦-١٧). وذلك على الرغم من أن هذه القطعة ستكون له حسب الوعد الإلهي؟ أو بكلمات أخرى: لماذا ذكر وبالتفصيل في كتاب "التكوين" عن ضرورة التطرق إلى شراء هذه القطعة من الأرض

وذكر في سفر القضاة عن وجود أمم غير يهودية تعيش في البلاد: "٢١. أما اليبوسيون المقيمون في أورشليم فلم يطردوهم بنو بنيامين، فأقاموا مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم. ٢٢. وصعد بنو يوسف أيضا إلى بيت إيل، وكان الرب معهم، ٢٣. واستطلعوا تلك المدينة وكان اسمها قبلًا لوز. ٢٤. فرأوا رجلاً خارجاً منها، فقالوا له: "دُلنا على مدخل المدينة فنحسن إليك". ٢٥. فدلهم عليه فهاجموها واحتلوها بحد السيف. وأما الرجل فأطلقوه هو وعشيرته.

بالنقد الكامل؟ وكذلك، ما هي مكانة الأرض الموعودة في نظر سيدنا إبراهيم؟

فترة الاستيطان

لم تكن حدود أرض إسرائيل عند نهاية دخول واحتلال يشوع بن نون تشبه حدود أرض الميعاد: «١٦. وملك يشوع تلك الأرض كلها: الجبل وكل الجنوب وأرض جوشن والسهل والغور وجبل إسرائيل وسهلها، ١٧. من الجبل الأقرع الممتد جهة سعين إلى بعل جاد في وادي لبنان تحت جبل حرمون، وأخذ جميع ملوكها وقتلهم. ١٨. وشن يشوع حرباً على جميع أولئك الملوك أياماً كثيرة، ١٩. فما سالت مدينة بني إسرائيل سوى جبعون مدينة الحويين، أما بقية المدين فأخذوها جميعاً بالحرب، ٢٠. لأن الرب أعمى قلوب سكانها حتى خرجوا على بني إسرائيل بالقتال فأهلكوهم من دون رحمة، وأبادوهم كما أمر الرب موسى" (يشوع، الإصحاح الحادي عشر، آية ١٦-٢٠).

يعتبر هذا الوصف شمولياً ومبالغاً فيه، خصوصاً بعد فحص حدود الأسباط المذكورة في سفر يشوع: "وشاخ يشوع وكبر في السن، فقال له الرب: "شخت وكبرت في السن، وبقيت أراضٍ لامتلاك كثيرة. ٢. وهذه هي الأراضي الباقية: كل بقاع الفلسطينيين وكل أرض الجشوريين جنوباً. ٣. من شحور الجاري في مصر إلى أرض عقرون شمالاً وهي للكنعانيين وفيها أقطاب الفلسطينيين الخمسة في غزة وأشدود وأشقلون وجت وعقرون وأرض العويين في الجنوب. ٤. كل أرض الكنعانيين ومن عارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى حدود الأموريين، ٥. وأرض الجليليين وجميع لبنان شرقاً من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى لبيو حماة. ٦. كل سكان

الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم، وكل الصيدونيين ساطردوهم من أمام بني إسرائيل هذه الأراضي كلها تقسمها بالقرعة لبني إسرائيل ميراثاً كما أمرتك. ٧. تقسمها ميراثاً للتسع العشائر ولنصف عشيرة منسى" (يشوع، الإصحاح الثالث عشر، آية ١-٧).

ولم يسكن بنو إسرائيل البلاد لوحدهم "١٣. ولم يطرد بنو إسرائيل الجشوريين والمعكيين، وإنما أقاموا فيما بين بني إسرائيل إلى هذا اليوم" (المصدر السابق، آية، ١٣). "٦٣. وأما اليبوسيون سكان أورشليم، فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم. فأقام اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم" (يشوع، الإصحاح الخامس عشر، آية ٦٣). "١٠. ولم يطردوا الكنعانيين المقيمين بجازر، فأقام الكنعانيون بين بني أفرام إلى هذا اليوم، وكانوا عبداً يؤدّون الجزية" (يشوع، الإصحاح السادس عشر، آية ١٠). "١٢. ولم يقدر بنو منسى أن يملكوا هذه المدين فأقام الكنعانيون في هذه الأرض. ١٣. ولما قوي بنو إسرائيل فرضوا على الكنعانيين جزية ولم يطردوهم. ١٤. وقال بنو يوسف ليشوع: "ما بالكَ أعطيتنا بالقرعة حصّة واحدة وسهماً واحداً، ونحن شعب كثير والرب إلى الآن يباركنا؟" ١٥. فقال لهم يشوع: "إذا كنتم شعباً كثيراً وضاق عليكم جبل أفرام فاصعدوا إلى الغاب ومهدوا لأنفسكم الأرض هناك في أرض الفرزيين والرفائيم". ١٦. فقال بنو يوسف: "الجبل وحده لا يكفي، ثم إن لجميع الكنعانيين المقيمين في أرض الوادي مركبات حديد، سواء منهم الذين في بيت شان وتوايعها أو الذين في وادي يزرعيل". ١٧. فقال يشوع لبني يوسف، لأفرام ومنسى "أنتم شعب كثير ولكم قوة عظيمة، فلا يكون لكم حصّة واحدة، ١٨. بل يكون لكم الجبل لأنه غاب فتمهدونه ويكون لكم بكل سعته، فتطردون الكنعانيين ولو كان لهم مركبات حديد وكانوا

كانت حدود استيطان أسباط بني إسرائيل مقلصة للغاية.
فالحدود الجنوبية تمر عبر منطقة بئر السبع، والحدود الشمالية تمر
في نهر دان (جنوبي جبل الشيخ). وعليه فإن التعبير «من دان حتى
بئر السبع» صادق لحدود أسباط إسرائيل في عهد يشوع والقضاة.

آية ٢١-٣٦)

يمكن ملاحظة حقيقتين أساسيتين:

أ. أن حدود استيطان أسباط بني إسرائيل كانت مقلصة للغاية.
فالحدود الجنوبية تمر عبر منطقة بئر السبع، والحدود الشمالية تمر في
نهر دان (جنوبي جبل الشيخ). وعليه فإن التعبير «من دان حتى بئر
السبع» صادق لحدود أسباط إسرائيل في عهد يشوع والقضاة.
«١. فخرج بنو إسرائيل كلهم، واجتمعوا إلى الرب في المصفاة
كرجل واحد، من دان إلى بئر سبع وأرض جلعاد. ٢. والتقى
رؤساء الشعب، وكل عشائر بني إسرائيل في مجمع شعب الله
وعدهم أربع مئة ألف مقاتل. ٣. وسمع بنو بنيامين أن بني إسرائيل
صعدوا إلى المصفاة. وقال بنو إسرائيل: «قصوا علينا كيف وقعت
هذه الجريمة» (القضاة، الإصحاح العشرون، آية ١-٣).
ومرت الحدود الغربية قرب بئر السبع، ومنطقة لخيش شمالاً، ثم
منطقة أوفك حتى منطقة مجيدو فسهل يزرعيل (مرج ابن عامر) حتى
شرقي عكا في الشمال. ومرت الحدود الشرقية قرب خط عروعر في
النقب الشمالي-الشرقي (شرقي البحر الميت)، هضاب يعزر (شرقي
الأردن)، هضاب الجلعاد حتى بحيرة طبريا في الشمال. وعليه فقد
تقلصت مساحة الاستيطان، بالأساس إلى مناطق الجبل وشرقي نهر
الأردن (مكان سكن سبطين ونصف سبط من أسباط إسرائيل).

ب- كانت توجد في تخوم المنطقة المذكورة ذاتها، جيوب كثيرة
تابعة لشعوب كنعانية، لم يتم احتلالها على أيدي أبناء إسرائيل
لأسباب مختلفة. وذكرت هذه الشعوب في كتاب يشوع (يشوع،
الإصحاح الثالث عشر، آية ١-٧). وذكرت في الإصحاح نفسه
المساحات التي لم يتم احتلالها، والتي لم تدخل في حدود الأسباط،
وهي: كل أرض الفلسطينيين في الجنوب وأرض لبنان. وتشمل هذه
المناطق: الشاطئ الفينيقي من صور وحتى منطقة الجبل في الشرق،
وكل السهل اللبناني، من بعل- جاد قرب الحرمون في الجنوب

أشداء" (يشوع، الإصحاح السابع عشر، آية ١٢-١٨).

وذكر في سفر القضاة عن وجود أمم غير يهودية تعيش في
البلاد: "٢١. أما اليبوسيون المقيمون في اورشليم فلم يطردوهم بنو
بنيامين، فأقاموا مع بني بنيامين في اورشليم إلى هذا اليوم. ٢٢.
وصعد بنو يوسف أيضاً إلى بيت إيل، وكان الرب معهم، ٢٣.
واستطلعوا تلك المدينة وكان اسمها قبلًا لوز. ٢٤. فرأوا رجلاً
خارجاً منها، فقالوا له: "دلنا على مدخل المدينة فنحسن إليك".
٢٥. فدلهم عليه فهاجموها واحتلوها بحد السيف. وأما الرجل
فأطلقوه هو وعشيرته. ٢٦. فذهب إلى أرض الحثيين وبني مدينة
سمما لوز، وهو اسمها إلى هذا اليوم. ٢٧. ولم يقدر بنو منسى
أن يطردوا أهل بيت شان وتوابيعها، وأهل تعنك وتوابيعها، ودور
وتوابيعها، وبلعام وتوابيعها، ومجدو وتوابيعها، فعزم الكنعانيون
على أن يستقروا في تلك الأرض. ٢٨. ولما قوي بنو إسرائيل فرضوا
على الكنعانيين أعمال السخرة ولم يطردوهم. ٢٩. ولم يقدر بنو
أفرايم أن يطردوا الكنعانيين المقيمين بجازر. فبقي الكنعانيون فيما
بينهم في جازر. ٣٠. ولم يقدر بنو زبولون أن يطردوا سكان قطرون
ونهلول، فبقي الكنعانيون فيما بينهم يؤدون لهم أعمال السخرة.
٣١. ولم يقدر بنو أشير أن يطردوا أهل عكا وصيدون وأحلب
وأكزيب وحلبه وأفيق ورحوب، ٣٢. فأقام بنو أشير بين الكنعانيين
أهل الأرض لأنهم لم يطردوهم منها. ٣٣. ولم يقدر بنو نفتالي أن
يطردوا أهل بيت شمس وبيت عنات، ولهذا أقاموا بين الكنعانيين
أهل الأرض، وكان سكان بيت شمس وبيت عنات يؤدون لهم
أعمال السخرة. ٣٤. وحاصر الأموريون بني دان في الجبل ولم
يدعوهم ينزلون إلى الوادي. ٣٥. وعزم الأموريون على الإقامة
بجبل حارس في أيلون وفي شعلييم. واشتد ساعد بني يوسف
ففرضوا عليهم أعمال السخرة. ٣٦. وكانت حدود الأموريين من
عقبة عقرئيم حتى شمال سالع" (سفر القضاة، الإصحاح الأول،

وحتى مشارف حماة في الشمال. كما لم يجر احتلال أرض جشور الواقعة شرقي بحيرة طبريا. ويطلق يشوع على هذه المناطق «البلاد المتبقية».

وذكرت في كتاب القضاة جيوب لشعوب أخرى داخل مناطق الاستيطان، كما سلف أعلاه (القضاة، الإصحاح الأول، آية ٢١ - ٣٦). وذكرت أيضاً المناطق التي لم يحكمها أسباط إسرائيل.

ملكة شاول

« ١٦. وكان شاول ويوناثان ابْنَهُ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الشَّعْبِ مُعْسَكِرِينَ فِي جَبْعَةَ بِأَرْضِ بَنِيَامِينَ، وَالْفَلِسْطِيِّونَ مُعْسَكِرِينَ فِي مِخْمَاسَ. ١٧. فخرَجَ الْمُهاجِمُونَ مِنْ مُعْسَكِرِ الْفَلِسْطِيِّينَ ثَلَاثَ فِرْقٍ، الْفِرْقَةُ الْوَاحِدَةُ تَوَجَّهَتْ فِي طَرِيقِ عَفْرَةَ إِلَى أَرْضِ شُوعَالٍ، وَالْفِرْقَةُ الْأُخْرَى تَوَجَّهَتْ فِي طَرِيقِ بَيْتِ حُورُونَ، وَالثَّالِثَةُ إِلَى الْحُدُودِ الْمُشْرِفَةِ عَلَى وادي صَبُوعِيمَ نَحْوَ الْبَرِّيَّةِ. ١٩. وَلَمْ يَكُنْ فِي كُلِّ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ حَدَادًا، لِأَنَّ الْفَلِسْطِيِّينَ مَا أَرَادُوا أَنْ يَصْنَعَ الْعِبْرَانِيُّونَ سَيْفًا أَوْ رُمَحًا. ٢٠. فَكَانَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى الْفَلِسْطِيِّينَ لِيُحَدِّدَ سَكِينَتَهُ أَوْ مِنْجَلَهُ أَوْ فَأْسَهُ أَوْ مِعْوَلَهُ » (صموئيل الأول، الإصحاح الثالث عشر، آية ١٦ - ٢٠).

ماهي إذن "كل أرض إسرائيل" هذه التي كانت في عهد شاول؟ ما دامت جيوشه تعتمد على الحدادين الفلسطينيين.

في عهد شاول لم تحتل الأراضي، ولم تتوسع تخوم مملكته. صحيح أنه حارب أعداء إسرائيل: موآب، أبناء عمون، وأدوم وملوك تسوبا، وخاصة الفلسطينيين: « ٤٧. وَحَارَبَ شَاوُلُ أَعْدَاءَهُ الْمُحِيطِينَ بِهِ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّى الْمُلْكُ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَحَارَبَ الْمُوآبِيِّينَ وَبَنِي عَمُونَ وَالْأَدُومِيِّينَ وَمُلُوكَ صُوبَةَ الْفَلِسْطِيِّينَ مُتَنَصِّرًا حَيْثُمَا اتَّجَهَ. ٤٨. وَقَاتَلَ بِشَجَاعَةٍ وَضَرَبَ بَنِي عَمَالِيقَ وَأَنْقَذَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَيْدِي نَاهِيِيمَ. ٤٩. وَكَانَ لِشَاوُلَ بَنُونَ هُمُ يُونَاثَانُ وَيَشُوي وَمَلِكِيشُوعُ، وَابْتَنَانُ هُمَا: مِيرَبُ الْكُبْرَى، وَمِيكَالُ الصُّغْرَى. ٥٠. وَكَانَ اسْمُ زَوْجَتِهِ أَخِينُوعَ بِنْتُ أَخِيمَعَصَ، وَاسْمُ رَئِيسِ جَنْدِهِ أَبْنِيرَ بْنِ نِيرَ عَمَ شَاوُلَ. ٥١. وَكَانَ قَيْسُ أَبُو شَاوُلَ، وَنِيرُ أَبُو أَبْنِيرَ كَانَا ابْنَي أَبِيئِيلَ. ٥٢. وَكَانَتْ الْحَرْبُ عَلَى الْفَلِسْطِيِّينَ شَدِيدَةً طَوْلَ أَيَّامِ شَاوُلَ. وَكَانَ شَاوُلُ يَضُمُّ إِلَيْهِ كُلَّ رَجُلٍ جَبَّارٍ أَوْ شَجَاعٍ يَرَاهُ » (صموئيل الأول،

الإصحاح الرابع عشر، آية ٤٧ - ٥٢). لكنها لم تكن حرب احتلال لتحقيق "الحلم الموعود"، وإنما كانت حرب بقاء ووجود، ضد الأعداء الذين يعتدون على إسرائيل. ونشبت في عهد شاول الحرب ضد "عملق"، فالنبي شموئيل، يمثل الروح الدينية في ذلك الوقت، رسول الله وحامل رسالته، يودع الرسالة الربانية في يد شاول ويأمره بإبادة "عملق" بكل فداحة: "وقال صموئيل لشاول: أنا الذي أرسلني الربُّ لأمسحك ملكًا على شعبه بني إسرائيل، فاسمع الآن قول الربِّ. ٢. هذا ما يقول الربُّ القدير: تذكَّرتُ ما فعلَ بنو عماليقَ ببني إسرائيل حينَ خرَّجوا من مِصرَ، وكيفَ هاجمُوهم في الطريق، ٣. فاذْهَبِ الْآنَ وَاضْرِبِ بَنِي عَمَالِيقَ، وَأَهْلِكَ جَمِيعَ مَا لَهُمْ وَلَا تَعْفَ عَنْهُمْ، بَلْ أَقْتُلِ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ وَالرُّضْعَ وَالْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْجَمَالَ وَالْحَمِيرَ". ٤. فنادى شاول رجاله وأحصاهم في طلائم، فكانوا مئتي ألف رجل من إسرائيل وعشرة آلاف من يهوذا. ٥. ففادهم إلى مدينة العماليقيين وكمن في الوادي. ٦. وقال للقيثيين: "قوموا أخرجوا من بين العماليقيين فلا تهلكون معهم. لأنَّ أسلافكم أحسنوا إلى بني إسرائيل حينَ خرَّجوا من مِصرَ". فخرج القيثيون من بينهم. ٧. وضربَ شاول بني عماليقَ من حويلة إلى شور التي قبالة مِصرَ، ٨. وأسرَ أجاجَ ملكَ بني عماليقَ حيًّا، وقتلَ شعبه جميعًا بِحَدِّ السَّيْفِ. ٩. وعفا شاول ورجاله عن أجاج، ولم يهلكوا خيرة الغنم والبقر والخراف، وكلَّ ما كانَ جيدًا، وإنما أهلكوا كلَّ ما كانَ حقيرًا هزيلًا." (صموئيل الأول، الإصحاح الخامس عشر، آية ١ - ٩). لكنه لم يكلفه بمهمة احتلال الجيوب القائمة في مناطق الأسباط، ولا احتلال مناطق "الأرض المتبقية"، تلك المناطق التي لم يستطع يشوع احتلالها، ولستم تحقيق وعد الله لإبراهيم: " ١٨. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ عَهْدًا قَالَ: "لِنَسْلِكَ أَهْبَ هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ، ١٩. وَهِيَ أَرْضُ الْقَبْيِيزِيِّينَ وَالْقَنْزِيِّينَ وَالْقَدْمُونِيِّينَ ٢٠. وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالرَّفَائِيزِيِّينَ ٢١. وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْجَرِجَاشِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ" (التكوين: الإصحاح الخامس عشر، آية ١٧ - ٢١). والوعد للنبي موسى كما ورد في سفر الخروج: " ٢٠. هَا أَنَا سَأَرْسِلُ أَمَامَكُمْ مَلَكًَا يَحْفَظُكُمْ فِي الطَّرِيقِ وَيَجِيءُ بِكُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَعَدَدْتُهُ. ٢١. فَاتَّبِعُوا لَهْ وَاسْتَمِعُوا إِلَى صَوْتِهِ وَلَا تَتَمَرَّدُوا عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَا يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، لِأَنَّهُ يَعْمَلُ بِاسْمِي. ٢٢. فَإِنْ اسْتَمَعْتُمْ إِلَى صَوْتِهِ وَعَمِلْتُمْ

بِكُلِّ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ، عَادِيَتْ مَنْ يُعَادِيكُمْ وَضَائِقَتْ مَنْ يُضَايِقُكُمْ. ٢٣. ويسير ملاكي أمامكم ويدخلكم أرض الأموريين والحثيين والفريزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين جميعاً، بعد أن أزيلهم. ٢٤. لا تسجدوا لآلهتهم ولا تعبدوها. لا تعملوا كأعمالهم، بل أزيلوهم وحطّموا أصنامهم. ٢٥. أعبدوا الرب الهكم، فبإرادتكم في خبزكم ومائتكم ويرفع الأمراض من بينكم. ٢٦. لا مسقط ولا عاقرة تكون في أرضكم، وعدد أيام حياتكم أكمل. ٢٧. والرعب مني أرسله أمامكم، وأهزم جميع الأمم التي تواجهونها، وأجعل جميع أعدائكم يولون مُدْبِرِينَ. ٢٨. وأرسل الذعر أمامكم فطردون الحويين والكنعانيين والحثيين من وجوهكم. ٢٩. لا أطردكم من وجوهكم في سنة واحدة لئلا تصير الأرض فقراً، فتكثر عليكم وحوش البرية. ٣٠. ولكي أطردكم قليلاً من أمامكم إلى أن يكثر عددكم وتلكون الأرض. ٣١. وأجعل حدود أرضكم من البحر الأحمر جنوباً إلى البحر المتوسط غرباً، ومن الصحراء شرقاً إلى نهر الفرات شمالاً، وأسلم إلى أيديكم سكان الأرض فطردوهم من أمام وجوهكم. ٣٢. لا تقطعوا لهم ولا لآلهتهم عهداً. ٣٣. ولا يقيموا في أرضكم لئلا يجعلوكم تخطأون إلي، فتعبدون آلهتهم ويكون ذلك لكم شركاً" (سفر الخروج، الإصحاح الثالث والعشرون، آية: ٢٠-٣٣).

وكما ذكر في سفر التثنية على لسان الرب مخاطباً بني إسرائيل: "٢٣. يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم، فترثون شعوباً أكثر وأعظم منكم. ٢٤. كل موضع تدوسه أقدامكم يكون لكم، من البرية جنوباً إلى لبنان شمالاً، ومن نهر الفرات شرقاً إلى البحر غرباً. ٢٥. لا يقف إنسان في وجوهكم، لأن الرب الهكم يلقى الرعب والخوف منكم على كل الأرض التي تدوسونها كما وعدكم" (سفر التثنية، الإصحاح الحادي عشر، آية: ٢٣-٢٥)

وكما كان الوعد ليشوع نفسه: "٣. كل مكان تدوسه أقدامكم أعطيته لكم، كما قلت لموسى. ٤. تمتد حدودكم عبر جميع أرض الحثيين من البرية جنوباً إلى جبال لبنان شمالاً، ومن نهر الفرات الكبير شرقاً إلى البحر. ٥. لا يثبت أحد أمامك طول أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك، لا أخذلك ولا أهملك" (صموئيل الأول، الإصحاح الأول، آية: ٣-٥)

وهذا يعني تنفيذ القسم الذي أقسمه بنو إسرائيل في الصحراء،

لإبادة "عمليق". أي لم تدخل "مناطق أرض إسرائيل" في اهتمامات القضاة والأنبياء، وإنما تنفيذ وصية لا رابط لها قطعياً بحدود أرض إسرائيل.

في عهد ابن شاول "إيشبوشث" ذكر في التوراة: "٨. وأخذ أنبئ بن نير، قائد جيش شاول، إيشبوشث بن شاول وعبر به الأردن إلى محنايم، ٩. وأقامه ملكاً على بني جلعاد وأشير ويزرعيل وأفرايم وبنيامين، وعلى جميع بني إسرائيل. ١٠. وكان إيشبوشث ابن أربعين سنة حين ملك على بني إسرائيل، ودام ملكه سنتين" (صموئيل الثاني، الإصحاح الثاني، آية: ٨-١٠). حكم إيشبوشث أريحا ومحنيص، القائمة شرقي نهر الأردن، كما حكم القسم الشمالي من إسرائيل: الجلعاد (شرقي نهر الأردن)، منطقة سبط אשר، وقد سميت مناطق الحكم "إسرائيل كلها": "٩. وأقامه ملكاً على بني جلعاد وأشير ويزرعيل وأفرايم وبنيامين، وعلى جميع بني إسرائيل" (صموئيل الثاني، الإصحاح الثاني، آية: ٩).

من الواضح أن المقصود هنا لم يكن يعني تخوم أرض إسرائيل بالمفهوم المقلص، لأنه في تلك الفترة بالتحديد، حكم داوود في "حبرون" (الخليل) وعلى منطقة سبط يهوذا: "١١. وكان عدد الأيام التي ملك فيها داود بحبرون على بيت يهوذا سبع سنين وستة أشهر" (صموئيل الثاني، الإصحاح الثاني، آية: ١١).

فماذا يعني إذن هذا التعبير "١٧. ورثى داود شاول ويوناثان ابنه بهذه المروية. ١٨. وأمر بأن يتعلمها بنو يهوذا، وهي مكتوبة في سفر ياشر: ١٩. مجدك يا إسرائيل قتيل على روايبك. فيا لسقوط الجبابرة! ٢٠. لا تحكوا عن ذلك في جت وفي ساحات أشقلون لا تعلنوه، لئلا تفرح بنات الفلستيين، لئلا تطرب بنات المختونين. ٢١. يا جبال جلبوع، لا يكن فيك ندى ولا مطر ومهجورة حقولك تبقى لأن أبطالنا سقطوا هناك، ترس شاول سقط في التراب، ولم يمسخ بزيت" (صموئيل الثاني، الإصحاح الأول، آية: ١٧-٢١).

واضح بأن هذا التعبير يتخذ طابع المبالغة من ناحية رغبة الكاتب في تجسيد حجم ضغط الفلسطينيين. لكن من الواضح أيضاً هنا أن أرض إسرائيل ليست لها حدود "تاريخية" معينة. وعلى كل حال ليست هي أرض إسرائيل التي ترسم بحدود الوعد، ومع ذلك فهي هنا كل أرض إسرائيل. وما قيل آنفاً يظهر بأن تخوم أرض إسرائيل وحدودها في عهد شاول كانت تخوم المنطقة السبطية في عهد يشوع والقضاة.

ويمكن القول تقريباً بأنه لا توجد لمصطلح «أرض إسرائيل» حدود جغرافية واحدة، وهي تتغير حسب المعطيات التاريخية للحقب الزمنية، وكم بالحري كون الحدود الموعودة نفسها موصوفة بصورة مختلفة كلياً في مناسبات مختلفة.

مملكة داوود وسليمان

خرج داوود في حملات احتلال، وصلت إسرائيل في نهايتها إلى قمة عظمتها العسكرية والسياسية. فهو حوّل إسرائيل إلى إمبراطورية حقيقية، تمتد حدودها من مشارف حماة في الشمال إلى نهر الفرات في الشمال الشرقي، وإلى إيلات في الجنوب الشرقي، وحتى مملكة مصر في الجنوب الغربي. لكن هل سميت مناطق هذه الإمبراطورية كلها بـ «أرض إسرائيل»؟ وهل سكن أبناء إسرائيل في كامل تخومها؟ أو هل حارب داوود وابنه سليمان من أجل تحقيق «الحدود الموعودة»، التي قطعت لإبراهيم ولعيسى؟

لقد نظمت حدود هذه الإمبراطورية كوحدين أساسيتين: مناطق استيطان السكان الإسرائيليين، ومناطق المملكات المحتلة. وكان الحكم الإداري مختلفاً في كل من الودنتين. وقد عين على السكان الإسرائيليين في مناطق سكنهم اثنا عشر مفوضاً للضريبة، وهذا يغطي مناطق استيطان الأسباط على ضفتي نهر الأردن، بينما تحوّل باقي سكان المناطق المحتلة في الوحدة الثانية إلى عبيد للمملكة، وعين عليهم مفوضون منذ أيام داوود.

من المفيد والمهم أن نعرف أنه برغم تسلط داوود وسليمان على إمبراطورية بهذه السعة، لم تُسم إبدأ مناطق هذه الإمبراطورية - من وادي مصر وحتى الفرات - بـ «أرض إسرائيل». وخصص مصطلح «أرض إسرائيل» لمنطقة مقلصة أكثر. لكن عند مقارنة الفصول الواردة في صموئيل والملوك ينشأ عدم وضوح تجاه المناطق المصطلح عليها اسم «أرض إسرائيل»، لأن هناك فصلاً ثلاثاً مناطق موسعة، وهناك فصلاً ثلاثاً مناطق مقلصة. «الموسعة»: من مشارف حماة في الشمال وحتى وادي مصر في الجنوب، بينما الثانية، المقلصة للتخوم الأساسية - «من دان وحتى بئر السبع». فكيف والأمر كذلك، نتعامل مع هذين المفهومين اللذين يأتيان الواحد بجانب الثاني؟

بعد تقسيم المملكة

بعد وفاة سليمان وبداية عهد مملكة ابنه رحبعام، تقلصت مناطق الإمبراطورية الكبيرة حتى المناطق الأساسية. كما أن المملكة المقلصة تنقسم الآن إلى مملكتين: الشمالية - إسرائيل، التي تسمى تخوم أرضها من الآن بأرض إسرائيل، والجنوبية - يهوذا، التي تسمى منطقتها الآن بأرض يهوذا. وتمتد الحدود ما بين المملكتين من يافا باتجاه الشرق إلى جفثون وحيزر وبيت ايل حتى أريحا والبحر الميت. هنا لا يعنينا الصراع بين المملكتين والحدود التي بينهما. ولغرض بحثنا سنفحص حدودهما الخارجية فقط.

وعليه، بعد الانقسام أخذت الحدود بالتقلص. فالحدود الشمالية لمملكة إسرائيل أصبحت الآن في منطقة عيون. وفي الشرق تراجعت الحدود من العربا، في أعقاب اشتداد ساعد المملكة الآرامية، حتى رموت جلعاد وأفيك في الجولان، وفي الجنوب تقلصت حدود يهوذا حتى بئر السبع. ووسع يربعام الثاني الحدود الشمالية لمملكة إسرائيل حتى مشارف حماة. وفي الفترة ذاتها أيضاً، وسع عوزيا ملك يهوذا حدود مملكة يهوذا حتى إيلات وحتى مشارف مصر. لكن عمر هذه الحدود لم يطل. وفي عهد ياشياهو تراجعت الحدود الجنوبية في يهوذا مرة أخرى حتى بئر السبع. وفي وقت لاحق خربت إسرائيل وهاجرت، ومن بعدها يهوذا أيضاً. ومع بداية عودة صهيون عاد قسم من مهاجري بابل واليهود إلى أرض إسرائيل. وبموجب لوائح العائدين يمكننا أن نعرف أن منطقة شيفات شفي تسيون كانت مقلصة جداً. وأحاط اليشوف بالقدس من بيت إيل في الشمال وحتى بيت تسور في الجنوب.

وفي الخلاصة لهذا الاستعراض لحدود أرض إسرائيل التاريخية الحقيقية في التوراة، يمكن القول بوضوح أنها كانت تلك حدود متقلبة جداً. فقد تحركت وتنقلت، وتوسعت وتقلصت في فترات مختلفة.